الحملة الفرنسية الإيطالية على المهدية في شمال إفريقية عام ١٣٩٠م /٧٩٢هـ
(من توابع الحروب الصليبية)

دكتورة
إيناس نور الدين رمضان الشوره
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب- جامعة المنوفية

لم يكن استرداد عكا (آخر المعاقل الصليبية اللاتينية في بلاد الشام) في 18 مايو 1291م/ 17 جمادى الأول 690هـ على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل (1290- 1293م) علامة دالة على نهاية الحروب الصليبية على العالم الإسلامي بشكل تام ، بل كانت بمثابة نهاية حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب والذي امتد منذ ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي حتى سقوط غرناطة أخر موطئ قدم للمسلمين بالأندلس عام 1492م . وامتازت الحلقة الجديدة خلال القرن الرابع عشر الميلادي بتغلب الطابع الاقتصادي على الطابع الديني، إذ لم يعد الدين وحده هو الدافع الوحيد للقيام بحملة صليبية جديدة دون أن يمتزج معه الدافع الاقتصادي والمادي لأنه هو في الأصل جوهر المصالح ، ومن أجله تزحف الجيوش وترفع الرايات وتدق طبول الحرب . وعلى الرغم من أن أحوال الغرب الأوربي خلال القرن الرابع عشر الميلادي لم تكن مهيئة للاستعداد والترتيب لخروج حملات عسكرية جديدة ضد الشرق بسبب الصراعات السياسية الطاحنة التي اجتاحت الممالك الأوربية [1] ، فضلا عن ضعف نفوذ السلطة البابوية وتعرض أوروبا لعدد من الأزمات

[1] تغيرت الأوضاع في الغرب الأوروبي خلال القرن الرابع عشر الميلادي إذ انتهت كل الأسس القديمة التي ارتكزت عليها العصور الوسطى في كثير من المسائل الدينية والسياسية ، كما فقد الإقطاع مكانته التي احتلها على مدى قرون طويلة ليحل محله الاقتصاد النقدي الذي ارتبط بالنشاط الصناعي والتجاري للمدن الإيطالية ، كما انفض الناس من حول الكنيسة حينما انحرف رجال الدين عن واجباتهم الدينية وانغمسوا في السياسة وأصبحت الكنيسة الغربية جسد بلا روح وكيان غير مؤثر في المجتمع الأوروبي الوسيط . كما اجتاح أوروبا وباء الطاعون الذي أصاب العديد من ممالك الغرب الأوروبي ، ومات على أثره عدد كبير من سكان أوروبا ويطلق عليه اسم الموت الأسود . للمزيد من التفاصيل عن أوضاع الغرب الأوروبي في تلك الفترة راجع :

Runciman S. , History of the Crusades, III, Cambridge 1954, p. 430.

The Oxford Dictionary of the Middle Ages,(500- 1500 A.D), oxford 2015, p. 453.

كالأمراض والأوبئة والحروب الأهلية وغيرها [1] ، عوامل جميعها بلا شك ساعدت على فقد الحماس الديني وضياع الهمم وإحساس كافة الطوائف والطبقات في أوروبا بعدم الجدوى من الحرب مع المسلمين، و أن أية فكرة لحرب جديدة لن يجنى من ورائها سوى الهزيمة والخسارة في أرواح الجنود الذين سيسقطون ما بين قتلى وأسرى ورغم تلك الحالة التي انتابت الشعوب الغربية آنذاك ، إلا أن أوروبا لم تتخل تماما عن النزعة الصليبية بل ظلت فكرة الحرب تراود كثيرا من رجال الدين والسياسة الذين عبروا عن آرائهم بتقديم مشاريع وأفكار جديدة لمواصلة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، والاستيلاء على بيت المقدس واحتلال الأراضي المقدسة مرة أخرى لكن برؤى مختلفة . وعلى الرغم من عدم إتمام تلك االمشاريع وتطبيقها فعليا على أرض الواقع ، إلا أنه يرجع لها الفضل في استنفار الهمم و إحياء الروح الصليبية في نفوس اللاتين من جديد.

ومن خلال تتبعنا لتاريخ الحركة الصليبية نجد أن الحروب الصليبية التي دعا لها البابا أوربان الثانى عام 1095م لخروج جموع الغرب الأوروبي إلى الشرق في صورة حملات صليبية دينية ، لم تنته بوفاة الملك لويس التاسع Louis IX (1226– 1270م) [2] على أبواب قرطاجة أكتوبر عام 1270 م/ ربيع أول 669هـ

[1] The Oxford Dictionary of the Middle Ages, p. 453.

[2] تولى لويس التاسع العرش الفرنسي خلفا لوالده لويس الثامن، وكان حينئذ طفلا لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره تحت وصاية أمه بلانش القشتالية. وأظهر لويس كثيرا من الورع والتقوى حتى اشتهر بالقديس وحصل على تأييد البابوية وتدعيمها بسبب علاقة الصداقة التي جمعته مع البابوية آنذاك. وقد اتسمت سياسته الداخلية بالاعتدال والسلام واتجه نحو الإصلاح ، وكان يحلم أن يختم حياته بمشروع صليبي كبير، فأصر في سنة 1270م على القيام بحملة صليبية على تونس في شمال إفريقية ، إلا أنه توفي أثناء الحملة قبل أن يحقق حلمه ويمحو الأثر الذي تركته حملته الفاشلة من قبل وانتهى بذلك عصر من أعظم عصور الملكية الفرنسية وأسرة كابيه . =

= Mahrenholtz R , The Last of the old Capet, vol. VII, London (W.D , pp. 3781 -

بعد قيامه بحملته على مصر[1] والشام [2] وشمال إفريقية والتي تعد آخر الحملات الصليبية المنظمة على الشرق خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، بل ظلت فكرة الحروب الصليبية تغزو العقول وتراود الأفكار ونتج عن ذلك الحملة الصليبية الفرنسية الإيطالية المشتركة عام 1390م على مدينة المهدية [3] قاعدة شمال إفريقية

82 ; Luchaire , Le quatre Première Capetians in Lavisse – Histoire de France , Paris 1901, p. 207 ; Cambridge Medieval History , Cambridge 1924, Vol. 7 , p. 320. Lodge R. , The Close of the Middle ades (273 – 1494 A.D.) , London 1963, p. 46.

[1] Chronicles of the Crusades, Villehardouin and de Joinville, translated by Sir F. Marzials, Dover Publications 2007, p. 194.

[2] عن حملة لويس التاسع على مصر راجع : لابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج 6 ، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة 2005، ص 365 , المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ، دار الكتب، القاهرة 1996م ، ص 457.

Joinville's Chronicle ,op. cit., p. 203 .

[3] المهدية: هى إحدى عواصم الخلافة الفاطمية بإفريقية ، و تميزت المدينة منذ تأسيس الفاطميين لها كعاصمة للخلافة الفاطمية سنة 308 هـ / 920م ، زمن الخليفة الأول عبيد الله الفاطمي بموقعها الجغرافي الفريد فهي تطل على البحر من ثلاث جهات جعلت من المدينة حصنا منيعا قادرا على التصدي للغزوات الخارجية وجعلتها مركزا تجاريا هاما بحوض البحر المتوسط. يقول المؤرخون أن المهدية مدينة جليل قدرها، شهير في قواعد الإسلام ذكرها، وهي من بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين وإليه تنتسب، وكان ابتداء بنائه لها سنة 303هـ / 915م وجعلها دار مملكته. وأول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها، ثم أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجرا صلدا، فنقره نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت، تحصينا للمرسى من دخول مراكب الروم وابتنى " دار الصناعة" وهي من عجائب الدنيا. =

التي رآها البعض هى الطريق الجديد والأمثل للاستيلاء على بيت المقدس والعودة من جديد للسيطرة على الأراضي المقدسة بفلسطين، فتلك الحملة ما هى إلا حملة صليبية من توابع الحملات الصليبية على الشرق ، ومن هنا جاءت أهمية البحث وسبب اختياره. أما الدراسات السابقة في هذا الموضوع فلم تتناول الدراسات الحديثة التي وقعت تحت أيدينا هذا الحدث بشئ من التفصيل و جاء معظمها إشارات دون وجود دراسة وافية ، من ذلك مقال للدكتور محمد محمد الأمين بعنوان شمال إفريقية والحركة الصليبية يتحدث فيه بصورة عامة عن محاولات الغرب الأوربي الاعتداء على شمال افريقية نظرا لأهميته الاقتصادية و التجارية دون التعمق في دراسة الحملة الفرنسية الإيطالية موضوع بحثنا بشئ من التفصيل[1] ومن هنا تأتي أهمية البحث في تتبع الحركة الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي . و تتركز عناصر البحث على عدة نقاط رئيسية منها : أولاً : دعاة الحروب الصليبية في الغرب الأوربي خلال القرن الرابع عشر الميلادي. ثانياً : علاقة المدن الإيطالية وفرنسا بالشمال الإفريقي خلال

= ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج 5 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية بيروت 2003م ، ص 265 – 268.

بعد خروج المعز لدين الله الخليفة الفاطمي إلى مصر سنة 360هـ./970م ، وتأسيس مدينة القاهرة حكم الصنهاجيون إفريقية ولكنهم تألبوا فيما بعد على الفاطميين فانتقم هؤلاء منهم وأرسلوا إليهم القبائل الهلالية التي ساهمت في نشر قدر كبير من الفوضى، ومنذ ذلك التاريخ توالت الحملات ضد المدينة من الأساطيل الأوروبية وخاصة الإسبانية، حيث تراوحت حال المدينة بين السقوط والاسترداد ، وقد انتهى كل ذلك بتدميرها وحرقها من طرف الإسبان فى 1555م .
حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2001م ، ص 76.

[1] محمد محمد الأمين : شمال إفريقية والحركة الصليبية ، مقال بمجلة معهد الدراسات الإفريقية ، العدد الثالث 974 ، القاهرة 1975م .

القرن الرابع عشر الميلادي . ثالثاً : الحملة الفرنسية الإيطالية عام 1390م وأهم النتائج التي ترتبت عليها.

ونختتم البحث بأهم النتائج التي تم التوصل إليها مزيلا بقائمة المصادر والمراجع .

دعاة الحروب الصليبية في الغرب الأوربي خلال القرن الرابع عشر الميلادي.

ظهرت في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي عدة محاولات لإحياء الروح الصليبية في أوروبا بهدف تحقيق الأطماع والمآرب القديمة في الشرق الإسلامي، والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا برحلات الحج، و بزيارات رجال الدين إلى الأراضي المقدسة، [1] كما تزامنت مع التغيير في الأيدلوجية العسكرية الصليبية بأوروبا آنذاك إذ برزت فكرة التبشير وأهمية الدافع الاقتصادي والتجاري إلى جانب الحرب العسكرية كما دخلت أطراف جديدة في هذا الصراع مثل المغول في الشرق الأقصى ووسط أسيا والعثمانيين في آسيا الصغرى الذين شكلوا قوى منافسة للوجود الصليبي في الشرق الإسلامي.

وباسترداد مملكة بيت المقدس اللاتينية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي على أيدي المسلمين عادت زيارات الحج تتدفق إلى الأراضي المقدسة من جديد ، وتزايدت أعداد الحجاج بشكل ملحوظ خلال القرن الرابع عشر الميلادي واستفادت الجمهوريات الإيطالية لاسيما جمهورية البندقية من تدفق تلك الوفود وجنت من وراء ذلك ثروات طائلة مقابل قيامها بخدمات نقل الحجاج فيما وراء البحار[2]. غير أن هؤلاء الحجاج عقب عودتهم إلى بلادهم بالغوا في ذكر المتاعب والمعاملة السيئة التي وجدوها من الأتراك العثمانيين بهدف إثارة الغرب الأوروبي والنهوض بإعداد

[1] Runciman , op. cit., p. 430.

[2] عزيز سوريا ل عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة 1972م ، ص 155 – 187.

حملة صليبية جديدة على الشرق[1]. ومن هنا بدأت فكرة الدخول في حلقة جديدة من حلقات الحركة الصليبية تداعب وتراود عقول بعض المتحمسين من رجال الدين الذين عبروا عن آرائهم بتقديم المشاريع الطموحة لإثارة التعاطف الديني والإستجابة لطموحاتهم، ففي عام 1291م قدم الراهب فيدنزيو Fidenzio أحد الرهبان الفرنسسكان تقريرا مفصلا للبابا نيقولا الرابع (1288- 1292م) يتضمن تاريخ الأراضي المقدسة والطرق السهلة المؤدية لها[2]. وفي السنة التالية تقدم شخص آخر من مدينة نابولي اسمه ثاديوس Thaddeus بتقرير عنيف عن سقوط عكا عام 1291م والنتائج التي ترتبت عليه لإثارة النزعة الدينية في قلوب اللاتين الغربيين كما وجه نداءَ إلى البابا بضرورة العودة إلى احتلال الأراضي المقدسة من جديد. [3]

ومن أكثر المشاريع الدعوية التي كان لها صدى مدوٍ خلال القرن الرابع عشر الميلادي مشروع الإيطالي ريكولدو دي مونت كروس Ricoldo de Monte Croce وهو حاج من فلورنسا كرس حياته للعمل التبشيري وقد عاش فترة طويلة في الشرق الإسلامي امتلك خلالها الحماس الزائد نحو محاربة المسلمين واسترجاع الأراضي المقدسة ،[4] و هناك أيضا مشروع الحاج الألماني ولهلم بولدنسيل Wilholm Von Boldensele الذي تمكن من استمالة الموارنة بالشام لانضمامهم لصفوف الصليبين في حالة قدوم حملة صليبية جديدة إلى الشرق . [5] كذلك المشروع

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1975م ، ج 2 ، ص 1176.

[2] Runciman , op. cit., III, p. 430.

[3] Ibid , p. 430.

[4] Atiya A. S. , The Crusade in the Later Middle Ages ,London 1938, p. 411.

[5] Atiya A. S. , op. cit., p p. 411- 412.

الصليبي للأسباني رامون لول Raymond Lull (1232– 1316م) [1] الذي دَوَنْه في كتابه المسمى " كتاب النهاية " Liber de Fine عام 1305م ،[2] ووضع فيه خطة دقيقة لحملة صليبية جديدة تتجه صوب الشرق يكون على رأسها ملك ، وجعل أسبانيا هى نقطة انطلاق تلك الحملة بعد أن تقوم أسبانيا بطرد كل المسلمين المتواجدين على أراضيها ، ثم تواصل الحمله سيرها إلى شمال إفريقية ومنها إلى مصر ثم إلى الشام لكي تصل في نهاية المطاف إلى بيت المقدس ، وقد ورد بهذا الكتاب إشارات صريحة إلى استخدام العنف والقوة ضد المسلمين.[3] وكان لهذا المشروع صدى إيجابيا في أرجاء الغرب الأوروبي ، ولاسيما من جيمس الثاني ملك أراجون الذي أظهر تعاطفا كبيرا معه . ويقال أن رامون قد تخلى عن فكرة استخدام العنف مع المسلمين فيما بعد ولجأ إلى أتباع وسيلة الاقناع السلمي ، وقضى بقية حياته يعمل في التبشير بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي بين قبائل البربر في شمال إفريقية [4] حتى اتهم بالكفر وحكم عليه بالإعدام واستبدل هذا الحكم بعد ذلك

[1] Hillgarth J. N., Roman Lull and Lullism in fourteenth century France, London , p.76.

[2] رامون لول Raymond Lull أسباني الأصل ولد في جزيرة ميورقة عام 1232م وعاش حتى عام 1315م تعلم الفلسفة ودرس اللغة العربية على يد المغاربة ، في عام 1263م أعلن توبته ودخل في السلك الكنسي واتجه إلى تأليف الكتب والرسائل ، عاش فترة طويلة من حياته في شمال إفريقية وقضى نشاطه كله في الأعمال التبشيرية ، حاول عمل مناظرة مع علماء المسلمين إلا أن ذلك أثار الرأى العام ضده والقوا عليه تهمة الكفر وتم سجنه مرات كثيرة .

Hillgarth J. N., Roman Lull and Lullism in fourteenth century France , p.76.

[3] Hillgarth , op. cit., p. 78.

[4] قدم رامون تقريرا إلى البابا كلستين الخامس يتضمن فكرة مشروعه الصليبي وذلك في عام 1294م والتي ارتكزت على اتباع خطة لتنصير المغول خوفا من أن يعتنقوا الإسلام ويشلكون خطرا مستقبلا على الحركة الصليبية وعلى المسيحية نفسها ، وكان رامون يأمل أن يجد الدعم والتأييد من

بالنفي خارج الشمال الإفريقي، وانتقل رامون من سجنه بتونس إلى المركب المتجهة إلى جنوة وهو مقيد بالأغلال يسير تحت وابل من الحجارة واللعنات التي ألقيت عليه من قبائل البربر. [1] ورغم المعاناة التي شهدها رامون إلا أننا نجده يعود ثانية بعد عامين تقريبا إلى شمال إفريقية ليباشر عمله من جديد حيث استقر في مدينة بجاية [2] بالجزائر عمل خلالها بالتبشير بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي الأمر الذي أثار الرأى العام ضده في الجزائر والقوا به في السجن لمدة ستة شهور ثم طرد بصورة مهينة خارج البلاد[3]. غير أن رامون كان عنيدا في مواصلة عمله التبشيري ولم يتراجع عن أفعاله بل عاد من جديد إلى تونس للمرة الثالثة عام 1315م يحمل من ملك

البابا لأنه لما تربطه به من علاقة ود ، غير أن البابا قدم استقالته وخيب رجاء رامون فقد رامون ذات المشروع إلى خليفته البابا بونيفاس الثامن (1294– 1305م).

Hillgarth , op. cit., p. 78.

[1] Ibid , pp. 78 - 79.

[2] بجاية : تسمى بالأمازيغية ڤجايث أو بجايث وتكتب بالفرنسية Béjaïa ، أطلقت عليها بعض المسميات مثل صالدي والناصرية وبوجي(Bougie)، و هي مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر المتوسط وشاطئها مطل على خليج جميل وتزدهر فيها المدن البحرية في الساحل الغربي. وبجاية مدينة تاريخية وعريقة أسسها الناصر بن علناس ابن حماد بن زيري أحد ملوك بني حماد وبالأخص آل زيري في الشمال الإفريقي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، لذا تسمى أيضًا الناصرية نسبة إليه. عرفت المدينة أيضًا باسم بوجاية، وهي التي بنى فيها الناصر قصر اللؤلؤة أعجب قصور الدنيا آنذاك ونقل إليها السكان وعمرها ، وامتاز عهده فيها بالأمن والاستقرار. الشيخ مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي (لبنان) السنة1406 هـ /1986 م ، ص 23.

[3] Hillgarth , op. cit., p. 78.

أراجون جيمس الثاني [1] إلى أمير تونس أبي يحي الليحاني بن الأمير أبي العباس أمير تونس للسماح لرامون لول بالبقاء في تونس فسمح له[2] وعاش في كنف أسرة بني حفص حكام تونس[3] وعاد هذا الأسباني العنيد يمارس أعماله التبشيرية في الخفاء وانتقل إلى بجاية مرة أخرى ، وهناك قتل على يد البربر وحمل جثمانه اثنان من تجار جنوة على متن سفنهم واتجهوا به إلى كنيسة سان فرانسسكو حيث دفن بها عام 1315م. [4]

---

[1] Ibid , p. 80.

[2] ابن القنفد القسنطينى : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي تونس 1968م ، ص 160.

للاطلاع على المزيد من التفاصيل والمقارنة بين المصادر الإسلامية راجع :

السلاوى الناصري : الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، جزئيين ، ط. 1335م .

[3] الحَفْصِيُّون أو بنو حَفْص سلالة أمازيغية حكمت تونس و شرق الجزائر وطرابلس ما بين عامي 1229–1574م. ينتمي الحفصيون إلى قبيلة هنتاتة الأمازيغية ومساكنها في جبال الأطلس . استمدت التسمية من أبو حفص عمر (1174–1195م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. أصبح ابنه من بعده من عمال الموحدين على تونس .قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا الحفصي (1228– 1249م) بالاستيلاء على السلطة وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة استخلفت الدولة الموحدية في المنطقة. قضى ابنه المستنصر (1249–1277م) على الحملة الصليبية الثامنة سنة 1270م ، ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين ، بعد وفاته تنازع أولاده الحكم وجرت حروب طاحنة بينهم ، في أواخر القرن 13م انشق عن الأسرة فرعان، حكم أحدهما في بجاية والآخر في قسنطينة . في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي استولى المرينيون على البلاد ، و بعد جلاء المرينيين استعادت الدولة الحفصية حيويتها مع حكم كل من أبو العباس أحمد (1370– 1394م) ، أبو فارس عبد العزيز (1394 – 1434م) .

ابن القنفد القسنطينى : المصدر السابق ، ص 168.

[4] Atiya A. S. , op. cit., p . 49 .

ولم تقتصر فكرة الدعوة للحروب الصليبية على حجاج بيت المقدس المسيحيين ورجال الدين ذوي الحماسة الدينية والنزعة الصليبية الثائرة ، بل سلك الملوك نفس المسلك ، فقد حاول الملك الفرنسي فيليب الرابع (1285– 1314م) ركوب تلك الموجة لتحقيق مصالحه الشخصية فأعلن عن رغبته في تشكيل حملة صليبية جديدة ، فتقدم إليه الكثيرون ليضعوا خلاصة تجاربهم في خدمة الحركة الصليبية،[1] وعرضوا على الملك الفرنسي والبابوية في مؤتمر فيينا عام 1312م خططا حربية و تفاصيل لمشاريع حملة صليبية جديدة ، وكان من بين هؤلاء الأمير هيثوم Hetoum، [2] ولكن أغلب هذه المشاريع لم تنفذ بعد ما تبين للجميع أن الملك فيليب لم يكن جادا في عزمه ، وأنما اتخذ تلك الفكرة ذريعة للاستفادة من ضريبة العشور، ومصادرة أملاك فرسان الداوية Templars ، ومع ذلك فكل المشاريع كانت ذات قيمة تاريخية وأدبية كبيرة .[3] أما الأمير هيثوم فقد كلفه البابا كلمنت الخامس (1305– 1314م) بعمل دراسة وافية عن متطلبات الحملة التي أعلن فيليب الرابع عزمه على القيام بها ، فقام هيثوم بناء على رغبة البابا بتأليف كتاب باللغة اللاتينية بعنوان : Flos Historiarum Terre Orientis بمعنى " زهرة تاريخ الشرق " وضع فيه مشروعه لاسترداد الأماكن المقدسة وقدمه للبابا عام 1307م وذكر فيه شمال إفريقية كأحد الطرق الهامة الموصلة للاراضي المقدسة .[4]

---

[1] Atiya A. S. , op. cit., p . 50 .

[2] أمير أرميني من (كرشي) وهى ثغر بحري على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى إزاء جزيرة قبرص ، وكان عمه ملكا على أرمينية الصغرى ، وبعد أن اقتحم المماليك بلاده فر إلى جزيرة قبرص بصحبة عمه سنة 1305م ثم رحل لاجئا إلى البابا كلمنت الخامس ، وبعدها استقر في مدينة بواتييه الفرنسية حيث عاش في أحد الأديرة حتى مات عام 1308م .
سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 1195.

[3] Atiya A. S. , op. cit., p . 50 .

[4] Ibid , pp. 51 – 52 .

وهكذا احتل الشمال الإفريقي مكانة في مخططات الغرب وفي تفكير دعاة الحروب الصليبية بأوربا خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، فقد قدم بيركارد Burcard أحد مشاهير الدعاة [1] عام 1332م مشروعا للملك الفرنسي فيليب السادس Philippe VI (1328- 1350م) وقد عرف هذا المشروع باسم Directorium ad Philippum Regem Francia بمعنى " الدليل إلى فيليب ملك فرنسا " أشار فيه إلى أربعة طرق رئيسية للوصول إلى بيت المقدس هى الطريق الإفريقي ، وطريق البحر إلى قبرص ومنها إلى الشام ، وطريق شمال إيطاليا إلى دالماشيا ثم إلى القسطنطينية ، وأخيرا طريق المانيا وهنغاريا إلى القسطنطينية . غير أن بيركارد لم يفضل استخدام الطريق الإفريقي نظرا لطول المسافة التي تقطعها أية حملة من جبل طارق حتى بلاد الشام عبر الصحراء ، فضلا عن احتمالية تعرض الحملة للمخاطر أثناء عبورها من جانب حكام البلاد التي سيمرون عليها في شمال إفريقية ومصر.[2] وكان فيليب السادس متحمسا لاستئناف الحرب مع المسلمين ، وعندما لمس البابا يوحنا الثاني والعشرون هذا الحماس ورغبته في الإعداد لحملة صليبية جديدة أصدر مرسومين الأول في 26 يوليو 1330م يخول له فرض ضريبة العشر لمدة سنتين من أجل تمويل الحملة، والثاني في 5 ديسمبر 1331م يمنحه وكافة المشاركين في الحملة كافة الصلاحيات والامتيازات التي تمنح عادة لقادة الحملات الصليبية ، وشاعت أخبار هذه الحملة في الغرب الأوروبي ورغم ذلك لم يتم تنفيذها وتم رفض

[1] بدأ بيركارد نشاطه التبشيري في عام 1308م ، وانتقل إلى الشرق الإسلامى حيث عاش هناك ما يقرب من أربع وعشرين عاما يبشر بالمسيحية ، ثم عاد بعد ذلك إلى أوروبا يحمل معه مشروعه الصليبي ليقدمه للملك فيليب السادس . للمزيد من التفاصيل راجع :

Atiya A. S. , op. cit., p . 51 .

[2] محمد أمين : المرجع السابق ، ص 66.

مشروع بيكارد من اللجنة المختصة التي أوكل لها فيليب السادس مهمة إعداد الحملة .[1] ويأتي دور الإيطالي فيليب دى ميزيرز Philippe de Mezieres (1327–1405م) [2] في تحمل عبء الدعوة للحملات الصليبية والذي بدأ في نشر أفكاره عام 1366م حين قدم تفسيرا وتحليلا لعوامل إخفاق اللاتين في حملاتهم على الشرق والتي لخصها في عدة مبادئ منها نقص الفضائل الأربعة لديهم وهى الترتيب، والنظام ، والطاعة، والعدل ، ويرى أن طريق التدين ذي الطابع العسكري هو السبيل الوحيد للوصول إلى حرب صليبية ناجحة [3] كما قدم فيليب المساعدة لملك قبرص بيير دى لوزنيان Pierre de Lusignan (بطرس الأول)[4] في الإعداد لحملته الصليبية على

[1] تشير المصادر الإسلامية إلى أن الملك الفرنسي فيليب السادس الذي كان شديد النزعة الصليبية والحماس الديني الزائد قام بإرسال سفارة إلى سلطان المماليك بمصر تطالبه بتسليم مفاتيح بيت المقدس والمدن الساحلية الشامية كلها التي تقع تحت يديه وكأنه يملي عليه أوامره ، فاستنكر السلطان الغرض الذي جاءت من اجله السفارة الفرنسية ، وقام بطرد رجال الوفد الفرنسي وأهانهم . المقريزي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 319 ؛ سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ج 2 ، 197 .

[2] ولد فيليب دى ميزيرز في أسرة متواضعة بمقاطعة بيكارديا بإيطاليا عام 1326م واتم تعليمه في لمبارديا عام 1345م ، ثم التحق بالعمل في بلاط ملك نابولي وظل به طوال عمره ، زار الأراضي المقدسة مرات عديدة ، وكانت فكرة تخليص الأرض المقدسة محل اهتمامه طوال حياته ، لقى مصرعه في عام 1346م.

Jorga N. , Philippe de Mezieres (1327- 1405 A. D.) , Paris 1896, p. 19.

[3] عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة 1972م ، ص 98.

[4] بيير دي لوزينان Pierre de Lusignan هو ابن الملك هيو الرابع حكم قبرص سنة 1359م و يعد أول ملك أوروبى من أيام لويس التاسع يتحمس للإستيلاء على بيت المقدس عن طريق حرب مقدسه، لذا عمل نظاما للفرسان اسماه "فرسان السيف" بهدف استعادة بيت المقدس و دفعته حماسته الدينية للقيام بحمله صليبيه ضد مصر فراح يطوف أوروبا فى سنة 1362 م لكى يقنع ملوكها بالانضمام للحملة ، ولم يقدم له احد العون غير جينوه و الإسبتاريه ملوك جزيرة رودس.

الإسكندرية من مؤن وتجهيزات، وطاف معه عدة بلاد حيث زار فرنسا وانجلترا وبولندا لكسب الدعم والتاييد لتلك الحملة ، وقد وصلت الحملة الصليبية القبرصية مياه الإسكندرية في 9 أكتوبر 1365م في عهد السلطان الأشرف شعبان .[1] وعاث الصليبيون فسادا وتدميرا بالمدينة ورغم قيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب إلا أن الحملة فشلت ولم تأت بثمارها المرجوه .[2] وختم فيليب دى ميزيرز حياته بكتابة رسالة بعنوان " رسالة حزينة ومعزية " أهداها إلى دوق برجنديا بمناسبة هزيمة نيقوبوليس عام 1396م ثم اعتزل الحياة العامة وعاش بأحد الأديرة في باريس حتى مات فى 29 مايو 1415م .[3]

وجاء مارينو سانودو Marino Sanudo (1274 – 1343م) و لعب دورا مؤثرا في بعث الروح الصليبية بالغرب الأوروبي و لفت انتباه اللاتين إلى أهمية شمال إفريقية في النشاط التجاري ، وإلى أهمية الدور الاقتصادي في الحركة الصليبية ، لذا نادى بفرض الحصار الاقتصادي على تونس و مصر وحظر التجارة مع المدن الإسلامية الأخرى لخدمة الحركة الصليبية ، وقام بإعداد تقرير ضم معلومات

The New Encyclopædia Britannica, Macropædia, H.H. Berton Publisher ,1974, p.90.

[1] الأشرف ناصر الدين شعبان ، سلطان الدولة المملوكيه الاثنين والعشرون ، وهو ابن الأمير حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون الذي حكم مصر من سنة 1363 لسنة 1377م .
المقريزي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 284 ؛ ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق د. مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007 ، ص 22.

[2] المؤرخ النويرى الاسكندرانى (محمد بن قاسم بن محمد النويرى المالكى السكندرى) عاصر أحداث واقعة الإسكندريه وسجلها فى كتاب له بعنوان : "الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية " المعروف باسم " واقعة الإسكندرية " وهو ليس المؤرخ والكاتب المصرى شهاب الدين النويرى مؤلف" نهاية الأرب فى فنون الأدب " . النويرى الإسكندرانى، وقعة الإسكندرية، تحقيق سهيل زكار، دار التكوين للطباعة و النشر، دمشق 2008، ص 82– 85.

[3] Jorga N. , Philippe de Mezieres, p. 511; Atiya , op. cit., p . 102 .

واحصائيات اقتصادية هامة عن تجارة الشرق الأدنى، وأشار إلى ضرورة ضرب النشاط التجاري لمصر حتى يمكن السيطرة على حكامها المماليك بعد تجريدهم من المصدر الاقتصادى الأساسي لهم وهو التجارة وبعدها يمكن للصليبيين التغلب على المماليك و استرداد بيت المقدس .[1] وضع مارينو سانودو أفكاره ومقترحاته فى كتاب بعنوان: " سر الصليبي المخلص " وقدم نسخ منه هدية للبابا كلمنت الخامس عام 1309م وللملك شارل الرابع Charles IV .[2] ورغم الإعداد الجيد لهذا المشروع الذي استغرق أكثر من ثلاث سنوات ، إلا أنه فشل بسبب قيام البابا كلمنت الخامس بالسماح للتجار البنادقة باستئناف نشاطهم التجاري مع المسلمين في الشرق، فضلا عن خيانة تجار جنوة الذين قاموا بتهريب البضائع إلى الأسواق المصرية .[3]

---

[1] عزيز سوريا ل : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص 85.

[2] شارل الرابع أو كارل الرابع Karl IV (1316 – 1378م) هو ثاني ملوك بوهيميا من آل لوكسمبورغ الألمانية ، و يعد أول ملوك بوهيميا يصبح إمبراطورا للامبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان الابن الأكبر والوريث من يانغ الأعمى، الذي لقي حتفه في معركة كريسي في 26 أغسطس 1346م ، وقد ورث شارل الرابع كونتية لوكسمبورغ ومملكة بوهيميا ، وقد توج في 26 نوفمبر 1346م إمبراطورا في بون، و تم تتويجه إمبراطورا للمرة الثانية في 25 يوليو عام 1349م، كما تم تتويجه أيضا ملك على إيطاليا يوم 6 يناير 1355م، قام في عام 1356م بوضع قواعد الانتخابات للامبراطورية الرومانية الألمانية والتي استمرت حتى سقوط الامبراطورية في عام 1806م ، توفي في 29 نوفمبر 1378م .

Kavka, František (1998). " Politics and culture under Charles IV". In Teich, Mikuláš. Bohemia in History, Cambridge University Press, p. 60 ; see also, E.H. Wilkins, Life of Petrarch (Chicago, 1961), pp. 97, 112, 134 .

[3] Francis Dvornik , The Slavs in European History and Civilization, (Rutgers University Press, 1962) p. , 52 ; "Charles IV. (Roman Emperor)". Encyclopædia Britannica 5 (11th ed.). Cambridge University

ونستخلص من مشاريع الدعاة خلال القرن الرابع عشر الميلادي عدة أمور هامة ، منها أولا : أن ملوك فرنسا كان لهم النصيب الأكبر في الدعوة للحملات الصليبية وتحمل عبء الإعداد لحملة صليبية جديدة على الشرق الإسلامي، ثانيا: أن الحجاج ورجال الكنيسة الكاثوليكية قد مارسوا نشاطا تبشيريا واسع المدى في المشرق والمغرب الإسلامي وعملوا على بث روح العداء والنزعة الصليبية عند اللاتين أملا في إسترداد الأراضي المقدسة. ثالثا: وجهت مشاريع الدعاة أنظار الغرب إلى أهمية موقع شمال إفريقية وقيمته الاقتصادية ودوره في الحركة الصليبية ، وزادت أطماع الأوروبيين فيه ولاسيما التجار الإيطاليين الطموحين الذين بدأو يترددون على المهدية والمدن الساحلية التي حولها ،[1] وكان ذلك عاملا لقدوم الحملة الفرنسية الإيطالية على المهدية عام 1390م موضوع دراستنا ، رابعاً: أثرت تلك الدعوات على استئناف نشاط الحركة الصليبية والحيلولة دون انقطاعها أو نهايتها .[2]

علاقة المدن الإيطالية وفرنسا بالشمال الإفريقي خلال القرن الرابع عشر الميلادي.

كانت تونس موضع اهتمام اللاتين في الغرب الأوربي عامة والإيطاليين بصفة خاصة خلال القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن نظرا لأهميته موقعها التجاري و الجغرافي المتميز ، الأمر الذي جعل كثير من التجار الإيطاليين يترددون

Press, p. 898.

[1] حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص 80.

[2] استمر تيار الدعوة للحروب الصليبية خلال القرن الخامس عشر الميلادى ، فنجد عدداً من الدعاة يروجون لها أمثال جلبرت دي لانوى Ghillebert de Lannoy ، و برتراندون دى بروكيير Bertrandon de la Brocquiere وجان جيرمان Jean Germain ، وكان أكثر الدعاة شهرة آنذاك الرحالة فيلكس فابري Felix Fabri الذي قام برحلتين للأراضي المقدسة عامي 1480 و 1484م ، وكان شاهد عيان لمعظم أحداث عصره وكان مطلب فابري الوحيد هو تأمين زيارات الحجاج لبيت المقدس .

Fabri Felix, Palestine Pilgrims, Text Society, Translated to t Text Society, Translated to English by Aubrey Stewart , 2 vols. , London 1892 , p. 20.

عليها وعلى موانيها . وعلى الرغم من حالة الانقسام والحروب التي عاشتها المدن الإيطالية آنذاك والتي أصحبت عبارة عن كيانات مستقلة ومنفصلة متنازعة أطلق عليها مجازا اسم دويلات المدن City– State عانت الكثير من الفوضى والحروب الأهلية ، [1] وبالرغم من ذلك فقد كان لها نشاط تجاري حيوى هام في البحر المتوسط وطافت سفنها معظم الموانئ الساحلية به ولا سيما ساحل شمال إفريقية ، وجنت من وراء ذلك الثروات والأموال الطائلة ، وكانت جنوة والبندقية تتوليان معا تجارة البحر المتوسط وقد ارتبطتا بعلاقات تجارية دائمة مع تلمسان وبجاية وتونس في المغرب الإسلامي كما كان لهما وكالات تجارية رائجة و فنادق مميزة بقلب مدن الشمال الإفريقي. وبفضل تلك العلاقة تم التبادل التجاري بين الشرق والغرب ، فانتقلت معظم بضائع الساحل الأفريقي إلى أوروبا والبضائع الأوربية إلى المغرب الإسلامي.[2] وبمرور الزمن تغيرت نظرة هؤلاء التجار للساحل الإفريقي من نظرة المصالح والتجارة السلمية إلى نظرة الهجوم الاستعماري والانقضاض واحتلال أراضيه ، إذ مارست المدن الإيطالية ما يشبه بأعمال القرصنة على مدينة المهدية خاصة مع ازدياد نشاط

---

[1] اندلعت حرب عنيفة بين البندقية وأراجون وبيزنطة من ناحية وبين جنوة من ناحية أخرى وفي غضون تلك المعارك التي استطالت في سنتى 1351و 1352م خلفت ورائها الخراب والدمار وانتهت تلك الحرب بعقد التحالفات نظرا لتشابك المصالح التجارية بين القوى المتحاربة ، خاصة مع ظهور قوة فتية جديدة ولدت عملاقة منذ بدايتها دخلت حلبة المنافسة والصراع مع دويلات المدن = = الإيطالية في مياة البحر المتوسط نقصد بها الدولة العثمانية التي عقدت أولى معاهداتها مع جنوة بتاريخ 8 يونية 1387م .

S'eadeddin , Chronica della casa Ottomana , Trad. Bratutti 1890 , p. 120.

هايد (ح) : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج 3 ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة العامة للكتاب ، 1994م ، ص 116 – 117.

[2] Leon Mirot , Le Siege de Mahdia 1390, Paris 1932, p. 7.

حركة الدعوات الصليبية في الغرب الأوروبي،[1] فقد أشارت المصادر الإسلامية إلى تعرض شمال إفريقية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إلى الهجوم اللاتينى الصليبي مرات عديدة منها في عام 1284م على عهد الأمير أبو حفص عمر بن الأمير أبي زكريا الحفصي، وذلك عندما تم الهجوم الصليبى اللاتيني على جزيرة جربة Djerba [2] وتم أسر ما يقرب من ثمانية الآف أسيرا ونهبت الأموال والأمتعة والسفن،[3] ومرة ثانية عام 1287م عندما تم الهجوم على مدينة المهدية وأنزل الجنوية الخراب والدمار بالمدينة وقاموا بأعمال السلب والنهب ثم انصرفوا عنها بعد خمسة أيام[4]. وأشار ابن خلدون في تاريخه أن التجار الجنوية كانوا يتاجرون مع طرابلس

---

[1] Mirot , op. cit ., pp. 7 – 9 .

[2] تقع جزيرة جربة في خليج قابس قبالة سواحل تونس وهي أكبر جزيرة في شمال أفريقيا، وبها طريق أنجزه الرومان يؤدي إلى مدينة جرجيس ، وقد توالى على تلك الجزيرة الكثير من الشعوب بدءاً بالفينقيين والرومان والبيزنطيين وانتهاء بالفتح الإسلامي.
ابن القنفذ : المصدر السابق ، ص 149.

[3] ابن القنفذ : المصدر السابق ، ص 149 – 150 .

[4] احمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 1 ، تونس 1963 ، ص 213 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس 1966، ص 194 – 198.
لم تسلم طرابلس الغرب هى الأخرى من غارات الفرنج عليها إذ قام أهالي صقلية بالهجوم والاستيلاء عليها بغتة في ربيع الأخر 755هـ / مايو 1354م أثناء حكم السلطان أبي اسحاق ابراهيم بن ابي بكر ، وتفاصيل ذلك كما ترويها المصادر الإسلامية فقد أدعى أهالي صقلية أنهم تجار أتو للبيع والشراء ودخلوا المدينة على حين غفلة من أهلها ، فلما كان الصباح نصبوا السلالام وصعدوا الأسوار واستولوا عليها بحد السيف . الزركشي : المصدر السابق ، ص 194.

الغرب ويترددون عليها لما كان يعود عليهم من فوائد وأرباح، حتى اطلعوا على نقاط الضعف فيها ، لذا قرروا غزوها وتم ذلك في عام 755هـ / 1354م ،[1] إذ يقول ابن خلدون في كتابه العبر " وانتشروا في البلاد واتفقوا ذات ليلة فصعدوا أسوارها ونادوا للحرب وقد لبسوا السلاح ، فارتاع أهلها وقد هبوا من مضاجعهم ، ولما رأوهم بالأسوار لم يكن همهم إلا النجاة بأنفسهم ، فاستباح الجنوية المدينة وحملوا في سفنهم إلى جنوة ما وجدوه بها من الحرث والمتاع والأسرى ثم عادوا".[2]

وتطالعنا المصادر الإيطالية المعاصرة وخاصة كتاب المؤرخ أجُستينو جستينيان Agostino Guistiniani المدون باللغة الإيطالية القديمة بعنوان " حوليات جمهورية جنوة " Annali della Repubblica de Genova أنه في عام 1388م هاجمت أساطيل المدن الإيطالية جنوة وبيزا وانضمت إليهما أساطيل مملكة أراجون في حملة صليبية مشتركة ، سواحل مدينة المهدية لتأديب أهالي تلك المدينة على أعمال القرصنة التي يقوم بها البربر في البحر المتوسط ، والتي كبدت جنوة وبيزا وكذلك البندقية خسائر فادحة وتسببت في إلحاق الأضرار الاقتصادية والمادية بهم ، كما أشاعت الذعر وعطلت سير طرق التجارة في مياه البحر المتوسط ، فكان غرض تلك الحملة هو ردع البربر وتأديبهم وإيقاف نشاط القرصنة بالبحر[3] ، وقد أشار أيضا المؤرخ الإيطالي أوبرتو فوليتا Uberto Foglietta أسقف مدينة جنوة في كتابه

---

[1] ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، دار الكتاب اللبناني – بيروت 1966م ، ص 369.

[2] أشار المؤرخ الزركشي إلى تلك الحملة فقال : " أن صاحب قابس فاتحهم في فدائها ، فاشترطوا عليه خمسين ألفا من الذهب ، ألفين دفعها مما كان لديه وما جمعه من أهل البلاد المجاورة و مكنه الفرنج من طرابلس فملكها . وكان خروج الفرنج منها في شعبان 755هـ / 1354م بعد أن مكثوا فيها أربعة أشهر كاملة ". الزركشي : المصدر السابق ، ص 94.

[3] Agostino Guistiniani , Annali della Repubblica di Genova , Terza Edizione Gevonese , Vol. II, Genova 1854, p. 163.

الذي ألفه باللغة اللاتينية والمسمى " تاريخ جنوة " Historiae Genvensium إلى تلك الحملة في حوادث عام 1388م وأضاف معلومات أكثر تفصيلا إذ أشار إلى قيام اميرال صقلية القائد مانفريدو دى كيارامونت Manfredo de Chiraramonte أو مانفرد دى كليرمونت Manfred de Clermont كما تسمية بعض المراجع الأخرى[1] بالمشاركة بتلك الحملة بإرسال ثلاث سفن محملة بالمؤن ومشحونة بالجنود إلى جزيرة جربة أهم معاقل القراصنة بقيادة رافائيل كليرمونت Raphael de Clermont شقيق حاكم صقلية [2] ويشير فوليتا إلى أن هدف مانفريدو من المشاركة هو استرجاع جزيرة جربة التي استولى عليها مسلمو شمال إفريقية عام 1337م . [3]

وقد نجح أسطول صقلية في الاستيلاء على جزيرة جربة في يونيه عام 1388م / رجب 791هـ .[4] فضلا عن الجزر الواقعة في خليج قابس، كما أُسر المئات من سكان المنطقة وجُمعت الأسلاب والغنائم الكثيرة ، ثم عادت الأساطيل من حيث جاءت بعد نجاحها في المهمة التي أتت من أجلها وحققت قدراً من الهدوء النسبي في مياه البحر المتوسط وتفيد المصادر اللاتينية أن الجزر التي تم الاستيلاء

[1] Atiya , op. cit., p. 408.
[2] Delaville le Roulx J. , La France en Orient au XIV Siècle , Paris 1886, p. 167.
[3] Uberto Foglietta , Historiae Genvensium , Libri XII, Genova 1585, p 164 - 167.
والجدير بالإشارة هنا أن البندقية أيضا قد تعهدت بالاشتراك في هذه الحملة خاصة بعد انتهاء الحرب بين جنوة والبندقية والتي نجم عنها الكثير من التخريب والتدمير لاسيما بعد معركة كيوجا Chioggia عام 1380م التي دارت بينهما، على أثرها جنوة أسطولها وعددا كبير من محاربيها نتيجة تلك الهزيمة ، وعلى أية حال فقد عقد الصلح بينهما بعد وساطة البابا أوربان السادس وأميديه السادس كونت سافوي في المؤتمر الأول في 19 من مايو 1381م ، وتم توقيع الطرفين على بروتوكول الصلح في 8 أغسطس عام 1381م .

Guistiniani , op.cit., p. 169 ; Sisnondi J. L. , History of the Italian Republics in the Middle Ages, London , N. D. , p. 549.
[4] Delaville le Roulx J. , op. cit. , p. 167

عليها خلال تلك الحملة قد منحها البابا أوربان السادس Urban VI (1378-1389م) لإميرال صقلية مانفريدو دى كيارامونت مقابل دفعه مبلغ ستة وثلاثين الف فلورين من الذهب إلى قادة جنوة مكافأة لهم على جهودهم في استعادة تلك الجزر. [1]

وعلى ما يبدو أن الضربات التي وجهتها أساطيل جنوة وبيزا وصقلية للساحل الإفريقى عام 1388م آنذاك لم تكن رادعة للبربر، لأنهم سرعان ما استأنفوا نشاطهم في البحر ، و راحوا يتجولون بسفنهم و يمارسون أعمال القرصنة بالقرب من سواحل إيطاليا وفرنسا حتى هددوا الملاحة والتجارة في البحر المتوسط الذي لم يعد أمناً في نظر التجار الأوربيين [2] وكانت جنوة وبيزا والبندقية تدفع فدية منتظمة للقراصنة لتشتري السلامة لنفسها[3] ، لذا قررت جنوة أمام غارات البربر المتكررة القيام بعمل عدائي جديد ضد الساحل الإفريقي وتوجيه ضربة قوية إليه تكون أشد بأسا وقوة عما قد سبقت ، ورغم سيطرة جنوة على البحر وامتلاكها سفنا بحرية عملاقة إلا أنها كانت في حاجة ماسة إلى المساندة المادية والعسكرية و إلى قوات برية تدعم جيشها، كما كانت تبحث عن قوة تتولى قيادة الحملة وتجمع المساعدات اللازمة للانفاق على الحملة فلجأت إلى فرنسا تطلب منها المشاركة في توجيه حملة صليبية ضد المهدية عقر دار قراصنة الساحل الغربي للبحر المتوسط. [4]

تقدم زعماء مملكة جنوة بمشروعهم الصليبي إلى الملك الفرنسي شارل السادس Charles VI (1380 – 1422م) [5] أثناء إقامته في مدينة تولوز

---

[1] Guistiniani, op. cit., p. 168.

[2] Delaville , op. cit., p. 167.

[3] Stanly Lane – Poale , The Barbary Crosairs, London 1890, p. 4.

للمزيد من التفاصيل راجع : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 177.

[4] Thonpson James , History of the Middle Ages , London 1931, p. 143.

[5] اعتلى الملك شارل السادس العرش الفرنسي بعد وفاة والده شارل الخامس (1364- 1380م)

Toulouse [1] في نوفمبر 1389م حيث وصلت سفارة من أبرز قادة جمهورية جنوة لطرح مشروع الحرب الصليبية على الملك الفرنسي [2] وتم الاتفاق بينهما خلال تلك الزيارة على القيام بحملة صليبية مشتركة ضد المهدية . [3]

وقد أشار المؤرخ جون فرواسار John Froissart في حوليته التي كتبها باللغة الفرنسية القديمة وتم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بعنوان " حوليات انجلترا وفرنسا واسبانيا والبلاد المجاورة من أواخر عهد ادوارد الثاني حتى تتويج هنري الرابع "[4] إلى تفاصيل دقيقة عن تلك السفارة لأنه كان معاصرا لتلك الأحداث ، كما أورد لنا المؤرخ الإيطالي اجسطتن جستينيان في كتابه " حوليات جمهورية جنوة " الكلمة التي ألقاها مبعوث جنوة أمام الملك شارل السادس في مدينة تولوز[5]، كما أورد أيضا المؤرخ

وكان حينئذاك في سن صغيرة فوقع تحت الوصاية حتى بلغ العشرين من عمره ، وكان فارسا قويا شجاعا ، تزوج من ايزابيلا البافارية (1370 – 1425م) التي كانت تبلغ من العمر آنذاك خمس عشرة سنة . وشهدت فرنسا في عهده الرخاء والاستقرار ، كما شهد بلاطه الثراء والرفاهية ، وانتشار العادات والتقاليد الإرستقراطية الدالة على الفخامة التي عرفت بها فرنسا منذ زمن بعيد .
Huizinga J. , The Waning of the Middle Ages , London 1955, p. 247.

[1] تولوز Toulouse مدينة فرنسية أطلق عليها الأندلسيون اسم طولوشة وباللهجة المحلية تسمى طولوزة ، تقع في جنوب غرب فرنسا بالقرب من الحدود الإسبانية، علي ضفاف نهر الجارون، وهي اليوم من بلديات جنوب فرنسا ومقر إقليم غارون العليا الذي يقع في منطقة ميدي بيرينه ، وكانت تولوز تلقب بالمدينة الزهرية لأن اللبنات المحلية التي شيدت بها مبانيها التقليدية لها هذا اللون.

محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة دار الشعب 1965م ، ص 340.

[2] Kitchen G. W. , AHistory of the France , Oxford 1899, p. 488.

[3] La Monte J. , The World of the Middle Ages , New York 1949, p. 668.

[4] John Froissart , Chronicles of England , France , Spain, and the adjoining countries, Translated by Thomas Johnes , London 1839, p. 20.

[5] Guistiniani, op. cit., p. 168 ; Froissart , op. cit., p. 21.

يوحنا كابريه دورفيل Johan Cabaret d' oreville تفاصيل الإتفاقية التي تمت بين الملك الفرنسي ومبعوثي جنوة [1] منها تعهد جنوة بتقديم السفن والمؤن من الطعام والشراب واثنى عشرة ألفا من الرماة في مقابل قيادة فرنسا بكل امكانياتها العسكرية لهذه الحملة[2] ويتضح لنا من خلال قراءة تلك التفاصيل مدى القوة التي كانت تمتلكها فرنسا آنذاك في نظر الجنويين على اعتبار أنها محركة الحركة الصليبية وصاحبة القيادة لها منذ شرارتها الأولى في القرن الحادي عشر الميلادي [3] حتى أن اسم فرنسا ظل مرتبطا بلفظ مسيحي لفترة طويلة من الزمان ، كما يكشف الخطاب عن مدى الخطر الذي سببه المجاهدون غزاة البحر بالقرب من سواحل أوروبا الجنوبية . [4]

والسؤال هنا، لماذا وقع اختيار اللاتين على توجيه ضربات تلك الحملة الصليبية صوب مدينة المهدية تحديدا وليس أية مدينة أخرى بالساحل الإفريقي ؟

ونعتقد أن هناك عدة أسباب أدت إلى اختيار الإيطاليين والفرنسيين مدينة المهدية لتكون هدفا لهم ، أولها الأحوال السياسية التي كان يمر بها الشمال الإفريقي من تنازع وخلافات سياسية مستمرة قبيل قدوم الحملة الفرنسية الإيطالية عام 1390م إذ شهد المغرب الإسلامي انقساما سياسيا أدى إلى قيام دولة بربرية مستقلة نتيجة انهيار دولة الموحدين في عام 1268م / 667هـ، وانتقل الحكم في المغرب إلى بني مرين [5]

[1] Johan Cabaret d' oreville , La Chronique du Bon Duce Loys de Bourbon Ed. A.M. chazuad , Paris 1876, p. 65.

[2] Ibid , op. cit., p. 66

[3] Mirot , op. cit., p. 10.

[4] Cabaret d' oreville , op. cit., p. 66.

[5] قامت دولة بنى مرين عندما تمكن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى من دخول مدينة مراكش عاصمة الموحدين عام 668هـ / 1269م بعد مقتل أبى دبوس الموحدي و زوال دولة عبد المؤمن بن على ، وقد سميت بالدولة المرينية نسبة إلى مرين بن ورتاجن الزناتي ، ومن أهم أعمال زعماء تلك الدولة قيامهم بمساعدة أهالى قرطاجة في حربهم ضد القشتاليين وامدوهم بالرجال والعتاد فضلا عن الحروب المتوالية لهم في المغربيين الأوسط والأدنى ضد دولة عبد الواد والحفصيين .

وتونس إلى بنى حفص الذين اعلنوا استقلالهم عن الموحدين أيام زكريا الحفصي واعترف أهل طنجة وسبته وبعض مدن الأندلس بسلطانهم ، واستولى بنو مرين على المغرب الأقصى ، بينما استقل بنو عبد الواد [1] بالمغرب الاوسط ، وتم انفصال المغربين الأدنى والأوسط عن دولة الموحدين ، ودارت الحروب الطاحنة بين تلك القوى حين ادعى بنو حفص أحقيتهم في بسط نفوذهم على المغرب الأوسط على اعتبار أنهم ورثة الموحدين ،[2] وبالفعل اعترف بنو عبد الواد بسلطان الحفصيين على المغرب الأوسط ، غير أن المرينيين ظلوا يترقبون الفرصة للانقضاض على المغرب الأوسط حتى نجحوا في الاستيلاء على تلمسان[3] حاضرة بنو عبد الواد عام 1337م

الوزير السراج : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج 1 ق 4 ، تونس 1970م ، ص 1025

[1] بنو عبد الواد كانوا قبائل رحل يجوبون أرجاء الصحرا ء بحثا عن الماء والعشب حتى استقروا في المغرب الأوسط و نجحوا في إقامة دولة لهم امتدت على طول سواحل المغرب الأوسط استمرت ثلاثة قرون ، اتخذوا تلمسان عاصمة لهم ، ومؤسس هذه الدولة هو يغمراسن بن زيان الذي عينه الموحدون عاملا على تلمسان ففرض سلطانه على البلاد واستقل بها عقب سقوط دولة الموحدين سنة 1227م / 624هـ .

الظاهر أحمد الزواوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، القاهرة 1963م ، ص 249.

[2] الزركشي : المصدر السابق ، ص 108.

[3] ترجع تسمية مدينة تلمسان إلى العبارة البربرية " تلي إيمسان" وتعني باللغة العربية "الربيع الجاف" مما يوضح أن المدينة ذات أصول بربرية امتزجت مع العرق العربي المسلم لتصنع الصورة الحالية للمدينة، بالإضافة إلى وجود أعراق أخرى من الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط ومناطق أخرى من أوروبا، وهو ما يؤكد قدم تاريخ تأسيس المدينة والأدوار التي قامت بها عبر العصور التاريخية. وتقع تلمسان شمال غرب الجزائر، يحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط، وجنوباً ولاية النعامة، وشرقاً ولايتا عين تموشنت وسيدي بلعباس، وغرباً المملكة المغربية. وهي منطقة تاريخية وسياحية، كانت تعرف (ببو ماريا) في العصر الروماني، واتخذها الزيانيون عاصمة لهم. محمد

[1] لذا شجعت حالة التدهور التي آلت إليها الدولة الحفصية بعدما أصبحت أضعف الكيانات الموجودة بالشمال الإفريقي الصليبيين على جعل مدينة المهدية هدفا لحملتهم . يضاف إلى ذلك أن مدينة المهدية كانت مركزا لقراصنة البربر الذين كانوا يملكون مراكب خفيفة يستخدمونها في سلب ومهاجمة السفن الكبيرة في البحر ، كما كانت من قواعد المجاهدين المسلمين غزاة البحر الذين لم يفرقوا بين الجهاد والقرصنة وقد تمتعوا بعطف وحماية الحكام الحفصيين وكثيرا ما طلبت جنوة من حكام تونس منع القراصنة البربر والمجاهدين من غاراتهم المستمرة في البحر والتصدي لهم ، إلا أن الحفصيين عجزوا عن إيقاف نشاطهم أو منعهم ، مما أثار حنق وغضب تجار جنوة الذين توعدوا المدينة بالتدمير والخراب وملئت الكراهية قلوبهم نحوها ، لذا جاءت الحملة الصليبية الفرنسية الإيطالية عام 1390م إلى المهدية لمعاقبة القراصنة وإسقاط حكم أبي العباس سلطان تونس ردا على حمايته لهؤلاء القراصنة وقبوله أفعالهم ضد سواحل أوروبا وكان هذا هو السبب المباشر لخروج تلك الحملة .[2]

وساهم الملك الفرنسي شارل السادس بدور كبير ورئيسي في دعم الحملة الصليبية على المهدية، إذ كان من أشد المتحمسين ، وعمل على الترويج والدعاية لها

شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة 1965 ، ص 345.

[1] انقسم الحفصيون على أنفسهم وخرجت بجاية من تحت طاعتهم فاستغل بنو مرين ذلك واستولوا على تونس ، و على الرغم من محاولات أبو اسحق إبراهيم الحفصي إعادة الوحدة إلى البلاد إلا أن طوفان الانقسام قد حل على تلك الدولة بظهور شبه دويلات مستقلة مثل بنى مكى في قابس ، وبنى ثابت في طرابلس ، وبنى يملول في توزر . وأمام تلك الانقسامات لجأ الحفصيون إلى سلاح المصاهرة لمواجهة تلك المصاعب إذ تمت المصاهرة بين الحفصيون والمرينيين واندمجت الدولتين إلا أن ذلك الحل لم يأت بنتيجة سوى وقوع الحفصيين تحت رحمة المرينين و زيادة طمع الأخرين في إلتهام ما تبقى من دولة بنى حفص فاشتعلت الحرب بينهما من جديد .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ، الإسكندرية 1966م ، ص 873.

[2] Froissart, op. cit., pp. 446 – 447 ; Atiya , The Crusade in the Later , p. 402.

كما دعا الكثيرين للاشتراك بها من مختلف أرجاء أوروبا ، فأسرع النبلاء والفرسان من دوقيات فرنسا وانجلترا و أراجون[1] فضلا عن المدن الإيطالية جنوة وبيزا والبندقية يلتمسون الاشتراك بالحملة لحمل الصليب في حرب مقدسة على المسلمين تحت لواء قائد فرنسي أشد حماسا وصلابة هو الدوق لويس الثانى دوق بوربون خال الملك شارل السادس.[2] ومن هنا تحملت فرنسا على اعتبار أنها الشريك الأقوى والداعم الأكبر عبء الترتيبات والإعدادات اللازمة لخروج الحملة نظرا لعلاقات الود التي ربطت بين جنوة وفرنسا، لذا يمكننا القول أن تلك الحملة كانت فرنسية صليبية النزعة اقتصادية الهدف.[3] وعلى أية حال ، عندما شاع خبر خروج الحملة الصليبية الجديدة تحمس

[1] اشترك ملك أراجون في الحملة الصليبية على المهدية بغرض استعادة جزيرة سردينيا التي كانت محل خلاف بينها وبين جنوة وحتمت المصالح وقتها اظهار تعاونها مع جنوة من أجل المكاسب المادية التي ستعود عليها . Atiya , op. cit., p. 408.

[2] Delaville le Roulx J. , La France en Orient, p. 168.
ولد لويس دوق بوربون عام 1337م ، وكان عمره وقت الحملة ثلاثة وخمسين عاما وخاض الكثير من الحروب ضد انجلترا من عام 1360 حتى 1368م ، كان وصيا على الملك شارل السادس ، كما كان ضمن الدعاة للحملة الأسبانية عام 1386م .
Friossart , op. cit., p. 447.

[3] كانت العلاقة بين مدينة جنوة وفرنسا وطيدة وقوية للغاية نظرا لوجود مصالح تجارية كبيرة مشتركة بينهما وخاصة بين موانئ المدن الفرنسية في ليون وباريس ومونبلييه وبروفانس ، وموانئ المدن الإيطالية ، كما قامت جنوة بتقديم المساعدات العسكرية لفرنسا خلال حربها ضد انجلترا والمعروفة باسم حرب المائة عام ، لذا اتجه الدوق انطونيتو ادورنو Antoniotto Adorno حاكم جنوة وهو يبحث عن حلف قوى له يسانده ان يتجه نحو فرنسا لأنها حليف قديم تجمع بينهما مصالح مشتركة لذا لم يتردد دوق جنوة في أن يرسل وفدا لمقابلة الملك شارل السادس والتفاهم حول تفاصيل خطة الحملة في أواخر عام 1389م / 792هـ .
Froissart J. , op cit., p. 447 ; Mirot , op. cit, p. 10.

الفرنسيون بكل طوائفهم ولا سيما الشباب الطامح في تحقيق مجد حربي يتفاخر به ، أو أولئك الذين يطمعون في كسب الأموال والأراضى والغنائم [1]. كانت الأمال الفرنسية معقودة على نجاح هذه الحملة حتى أن الدوق لويس نفسه قائدها كان يأمل أن ينجح في تأسيس مملكة له في الشمال الإفريقي على غرار الممالك الصليبية التي كانت قائمة بالشرق الإسلامى ، وبدأت الحشود تتوافد للالتحاق بالحملة من الفرسان والنبلاء الفرنسيين حتى أصبحت الحملة مجهزة وعلى أتم الاستعداد للخروج .

الحملة الفرنسية الإيطالية عام 1390م وأهم النتائج التي ترتبت عليها

كان على فرنسا توفير الأموال اللازمة لتجهيز الحملة بشكل جيد لذا بدأ قائد الحملة دوق بوربون في تجميع الأموال فقام ببيع قصره الذي كان يمتلكه في باريس بمبلغ كبير ودفعه دعما للحملة ، كما دفع الملك شارل السادس مبلغ اثنا عشر ألف فرنك من الذهب ، كما دفع دوق تورين شقيق الملك شارل السادس عشرين ألف فلورين ثم دفع دفعة ثانية مقدراها ثلاثة عشر ألف فرنكا إلى نبلاء قصره لهذا الغرض وفي مارس 1390م قدم دوق برجنديا الفي فرنك ، ثم رصد الملك شارل السادس مبلغا آخر قدره عشرين الف فرنك من الذهب ، وقدمت جنوة اثنتين وعشرين سفينة تكفي لنقل ستة آلاف مقاتل[2]. وتجمعت القوات الفرنسية في ميناء مرسيليا لتنال شرف خروج الحملة من أراضيها ثم التقت كافة القوات المتحالفة في ميناء جنوة .[3]

خرجت سفن الحملة الصليبية من أوروبا متجهة نحو المهدية تحمل على متنها جموعا غفيرة من الفرنسيين والإيطاليين والانجليز والأسبان وبمشاركة بعض

---

[1] Barante M. , Histoire des Ducs de Bourgogne de la Maison Valois , Paris 1860, p. 271; Delaville le Roux , op. cit., p. 168; Atiya , Crusade , p. 408 .

[2] Delaville le Roux , op. cit., pp. 170 – 171 ;

[82] Atiya , op. cit., p. 408; Froissart J. , op cit., p. 447 ; Mirot , op. cit, p. 10.

الممالك المسيحية الأخرى تحت لويس دوق بوربون الفرنسي [1] وذلك بعدما نالت الحملة مباركة الكنيسة الغربية إذ قام دوق بوربون بمصاحبة الملك شارل السادس إلى أفينيون مقر البابوية [2] حيث طلبا من البابا كلمنت السابع السماح بمحاربة القراصنة المسلمين، فقام البابا بمنح البركة لأسطول الحملة بقيادة جيوفاني سنتريوني Giovanni Centurione [3] ولجميع المقاتلين والقوات المتجة لقتال المسلمين

[1] وضع الملك الفرنسي شارل السادس بعض الشروط لمن يشترك بالحملة الصليبية على المهدية منها أن على كل فارس يريد الانخراط في الحملة أن يتكفل بتجهيز نفسه ويكون ذلك على نفقته الشخصية وليس على نفقة الدولة، كما لا يسمح للاقطاعيين بإستخدام محاربين من خارج اقطاعاتهم ، ويكون حق الاشتراك في الحملة مقصورا على الفرسان والنبلاء والشباب البالغين سن الرشد ، وعلى أن لا يتجاوز عدد المحاربين الفرنسين خمسة عشر الف مقاتل .

Atiya , op. cit., p. 404.

[2] في وقت الإعداد للحملة الفرنسية الإيطالية على المهدية عام 1390م كانت الكنيسة الكاثوليكية بالغرب الأوربي منقسمة على نفسها ، إذ حدث ما يسمى بالانشقاق الكبير إذ كان هناك بابا في روما بإيطاليا هو كلمنت السابع (1378 – 1389) الذي له مؤيديه ، وبابا آخر في أفينيون بفرنسا هو بونيفاس التاسع (1389 – 1404م) له مناصريه هو الآخر ، وظل العالم المسيحي= = الغربي يحكمه اثنان من البابوات في آن واحد واستمر هذا الانشقاق من سنة 1378 حتى 1409م

Mekisack M. , The Fourteenth Century (1307- 1399), Oxford 1959 , p. 145.

Waugh T. , A History of the Europe from 1378 to 1494 , London 1932, p 120.

Paintr S., A History of the Middle Ages , London 1966 , p. 405.

[3] الإيطالي جيوفاني سنتريوني كان يلقب " الترا مارينو " Oltramarino وهو من عائلة جنوية عريقة اكتسب شهرة كبيرة كقائد بحري ، تولى عدة مناصب سياسية واقتصادية وكان أحد المشاركين في الهجوم على جزيرة جربة عام 1388م وأبلى بلاء حسنا فيها لذا اسندت إليه مهمة قيادة الأسطول عام 1390م . Atiya , op. cit., p. 410.

والدفاع عن العقيدة في حفل المنح طبقا للتقاليد المتبعة بالنسبة للحملات االصليبية [1] مما يؤكد أن تلك الحملة هى حملة صليبية مثلها مثل الحملات التي خرجت من قبل إلى الشرق ، وتعتبر من توابع الحملات الصليبية ، ودليلا على أن الحركة الصليبية لم تنته ولم يكن آخرها حملة لويس التاسع على تونس عام 1270م ، و أن الحملة الفرنسية الإيطالية على المهدية موضوع بحثنا هى حملة صليبية يمكننا أن نطلق عليها مجازا الحملة الصليبية التاسعة في تعداد الحملات المنظمة التي خرجت من الغرب اللاتينى إلى العالم الإسلامي .

وتؤكد المصادر اللاتينية على ترتيب وتنظيم هذه الحملة إذ أشار فرواسار إلى مراعاة قائدها التنظيم و تحري الدقة في تفصيلاتها خاصة في الميزانية والتمويل المالي ، كذلك في عدد الجنود وتنظيمهم وأماكن تواجدهم بالسفن والتأكد من كفاية المؤن من الأطعمة والمشروبات وغيرها[2]. وقد بلغ إجمالي عدد الجنود الجنوية المشاركين بالحملة طبقا لما ورد بالمصادر أربعة آلاف [3] و عدد الجنود الفرنسيين ما يتجاوز ألفي مقاتل من النبلاء وأعرق الأسر الفرنسية بالأضافة إلى عدد ضخم آخر من البحارة . [4]

---

[1] منح البابا بونيفاس التاسع البركة للقوات المتواجدة في جنوة ، كما منح البركة لجميع المقاتلين سواء الجنود المناصرين له أو المناصريين للبابا كلمنت السابع بأفينيون . للمزيد راجع :
Froissart J. , op cit., p. 447 ; Delaville le Roux , op. cit., pp. 171 – 172 ; Mekisack M. , op. cit., pp. 150 – 151.

[2] Froissart. , op cit., II, p. 447.

[3] حسب تقدير حولية فرواسار فقد تكونت قوات جنوة من الف من رماة السهام والفين من المقاتلين وحوالي أربعة الآف بحار ، وكان أسطولهم يتكون من ثمانين سفينة وبعض المراكب الأخرى يضاف إليها انثنتين وعشرين سفينة كانت تنقل الفرنسيين من مارسيليا فإن مجموعها يتعدى المائة سفينة .

Froissart. , op cit., II, p. 447.

[4] Froissart. , op cit., II, p. 447.

وفي الثالث من شهر يوليو عام 1390م / شعبان 792هـ خرج الأسطول الصليبي متجها نحو المهدية متخذا أقصر الطرق بين جنوة وتونس ومر خلال رحلته ببعض الجزر مثل سردينيا و كورسيكا ولاقت الحملة بعض المخاطر رغم قصر المسافة منها مرورهم بمكان يعرف باسم دوامة الأسد Le gouffre de Lion حتى أوشكت بعض قطع الأسطول على الغرق نتيجة هطول الأمطار وما صاحبه من عواصف شديدة شتت الأسطول الصليبي على أثرها [1] وطبقا لرواية المؤرخ المعاصر فرواسار فإن قادة الأسطول الصليبي أمروا جنودهم بالرسو بإحدى الجزر القريبة من المهدية حتى يتجمع شمل بقية السفن الضالة والإتفاق على خطة الهجوم المشتركة على المدينة [2] وبعد إتمام الاستعدادات توجهت الحملة تحمل شاراتها وأعلامها إلى ساحل مدينة المهدية ، وقد دهش أهالي المدينة من كثرة السفن التي اختلفت في أنواعها واحجامها ، وعندما اقترب العدو من الشاطئ هب الأهالي للدفاع عن المدينة يطمئنهم قوة تحصيناتها، فضلا عن وجود أعداد هائلة من البربر والمجاهدين المسلمين الذين عسكروا بالقرب من الساحل عندما علموا بالهجوم الصليبي على المدينة بمعاونة سلطان تونس أبو العباس أحمد وسطان بجاية وتلمسان للتصدى للحملة والدفاع عن المدينة [3] الذين دعوا إلى مجلس حرب للتشاور والبحث عن أفضل

---

[1] Froissart. , op cit., II, p. 449.

[2] عسكر الأسطول الصليبي بجزيرة كومينو Comino القريبة من جزيرة مالطة وكان هناك اتفاق مسبق بين القوات على التجمع بجزيرة كوتلييرا القريبة من الساحل الإفريقي في حالة حدوث أية ظروف تحول بين تجمع السفن .

Froissart. , op cit., II, p. 449.

[3] Froissart. , op cit., II, p. 466 ; Mirot , op. cit , p. 25 .

أبو العباس أحمد هو الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيي ابن ابى بكر بن ابي حفص عمر .

طريقة للتصدى للمهاجمين[1] والعجيب في الأمر أن المؤرخ الإيطالي فرواسار يمدنا بمعلومات عن اجتماع المسلمين والآراء التي دارت خلال هذا الاجتماع فقد رأى فريق المبادرة بالهجوم على سفن الصليبين أثناء نزولهم ساحل المدينة واضعاف قوتهم قبل أن يقوموا بمهاجمة المهدية ، وفريق آخر رأى عدم المقاومة وتوفير الجهد لحماية المدينة نفسها نظرا لكثرة عدد جيش العدو وقلة عدد جيش البربر بالنسبة لهم و فضل أصحاب هذا الرأى الانسحاب الى داخل أسوار المدينة للدفاع عنها وهو مكان حصين كان كفيلا بحماية المدينة [2] وقد استحسن الجميع الرأى الأخير وفضلوا العمل به ، لذلك ترك المسلمون الساحة خالية لنزول الصليبين بهدوء تام وسط دقات طبولهم دون أدنى مقاومة [3] على مرأى ومسمع من أهالى المهدية في يوم الأربعاء 22 يوليو 1390م / 7 شعبان 792هـ ، وعسكر الجيش الصليبي على شاطئ المهدية ودقوا خيامهم ورفعوا عليها شاراتهم وأعلامهم وكانت بالطبع خيمة قائد الحملة الدوق الفرنسي لويس في وسط ذلك المعسكر تحيط به خيام قواده وجنوده تحرسه ، وفي اليوم التالي مباشرة أمر لويس البوربوني بمحاصرة المدينة برا وبحرا فقامت القوات الفرنسية بحصار أبواب المدينة كما عملت القوات الإيطالية على قطع كافة الاتصالات بالمدينة لمنع وصول أية نجدات للبربر ، واستمر الحصار ثلاثة أيام متواصلة دون مبادرة هجوم من الجانيبين الإسلامي أو الصليبي [4]

ولد بقسنطينة عام 1339م / 739هـ وبويع بالحكم عام 1370م / 772هـ أظهر كفاءة ومقدرة في الحكم تحلت سياسته بالتسامح والعطف مع الاهالي وقد أشاع الأمن بين الناس نجح في تملك تونس بعد وفاة صاحبها أبى اسحق ..
ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 852 ، ابن القنفد ، الفارسية ، ص 26 ، احمد بن الضياف ، المصدر السابق ، ص 228 .

[1] Mirot , op. cit., p. 25.
[2] Froissart. , op cit., II, p. 467.
[3] Froissart. , op cit., II, p. 448.
[4] عندما علم أهالي الجزر القريبة مثل سردينيا وصقلية بأنباء هذا الحصار أخذوا على عاتقهم إمداد

وفي نهاية اليوم الثالث استغل البربر فرصة انشغال الصليبيين في تناول العشاء وهدوء أوضاعهم فخرجوا عليهم مندفعين على معسكر العدو واخترقوا حراسة الصليبين التي كانت تتعدى مائتى مقاتل وألف جندى من الرماة ودارت معركة بينهم فقد خلالها المسلمون اكثر من ثلاثمائة قتيل ورجع الباقون فارين يحتمون خلف أسوار المدينة يتعقبهم الصليبيون ، وقد أسفرت أول مواجهة بين الطرفين عن خسارة فادحة في الأرواح للمسلمين كما كشفت عن الاستعدادت القوية للجيش الصليبي [1] ولم يعاود المسلمون الهجوم بل اكتفوا بمواصلة الدفاع عن المدينة [2] تاركين عبء مواجهة الصليبيين للجيوش الأخرى الحليفة للسلطان في البلاد المجاورة والذين لم يتركوا للاتين فرصة للاسترخاء إذ كانوا يهاجمون معسكراتهم يوميا، في ذات الوقت كان السلطان يعمل على تجميع جيش كبير قدرته المصادر اللاتينية بأربعين الف محارب[3] ونعتقد أن هذا العدد فيه مبالغة شديدة من قبل المصادر وغير مقبول بالمقارنة بعدد سكان تلك النواحى ، و إن لم تكن لدينا احصائيات واضحة .

وعلى أية حال ، فقد وصلت الإمدادات للمسلمين واتخذت من المرتفعات معسكرا لها على مقربة من المعسكر الصليبي [4] وبدأت في عمل مناوشات دائمة بالجيش الصليبي ، كما اتخذ قادتها من أحراش الغابات ملجأ لهم بعيدا عن كمائن الصليبيين، واظهروا مقدرة فائقة في مواجهة الجيش الصليبي بعمليات الكر و الفر المتكررة التي قاموا بها لأنهم كانوا كثيري العدد و لديهم حرية الحركة والتنقل . وأمام

الحملة الصليبية بالمؤن فأرسلوا إليهم بصورة منتظمة سفنا محملة بالنبيذ والطعام والشراب فعمل هذا على وافرة المؤن للجيش الفرنسي . Froissart. , op cit., II, p. 449.

[1] Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 38

[2] Atiya , op. cit., p. 417.

[3] Froissart. , op cit., II, p. 450 ; Djait , Hicham & Others , Histoire de la Tunisie le Moyen Age , Tunis 1975, pp. 371- 372.

[4] Delaville , op. cit., p. 168 ; Mirot , op.cit., p. 28 .

ذلك فكر لويس البوربوني في استخدام سلاح الحيل والخداع وحاول استدراج البربر خارج الأحراش في الخلاء ، كما حرص على حماية المعسكر الصليبي بعمل سياج حوله من مجاديف المراكب المتشابكة وقف خلفها رماة السهام الذين تخطى عددهم الفا وخمسمائة من الرماة [1] ودرات بين الطرفين من حين لآخر اشتباكات عنيفة اعتمدت على أسلوب المفاجئة والكر والفر والخداع تكبد فيها الجيش الصليبي خسائر كبيرة ، وجعل فرسان الصليبيين في حالة من الترقب واليقظة واضطربت صفوفهم وقام أبو فارس بن السلطان أبو العباس باقتحام صفوف المسعكر الصليبي ليطلق سراح الأسرى المسلمين عنوة وكبد اللاتين ما يقرب من ثمانين قتيلا وفر هاربا يلاحقه جنود الصليبيين بعدما أوشك على الوقوع في الأسر [2]

وظلت الحرب سجالا بين المسلمين والصليبيين فهناك اشتباكات ومعارك دامية بين الحين والآخر دون إحراز نتيجة حاسمة لأحد من الطرفين ، فلجأ المسلمون إلى إرسال مندوب يعرف اللغة الإيطالية يحمل رسالة شفهية إلى معسكر الصليبيين ليستطلع هدفهم من القدوم بالحملة على المهدية ، وبالفعل وصل المندوب المسلم وقابل لويس البوربوني قائد الحملة و عرض عليه رسالة السلطان أبو العباس و جاء رد لويس البوربوني له بأن الصليبيين جاءوا للانتقام منهم لما سبق وأن فعله المسلمون بهم ، وعاد المندوب إلى السلطان ليخبره بتلك الرسالة [3]

وتروى المصادر إلى أن بعض الشباب المتحمسين من الجانب الإسلامى أرادوا عمل مبارزة بينهم وبين عدد مماثل لهم من الصليبيين حتى يعجلوا بنتيجة سريعة لهذه الحرب وتنتهى حالة الملل التي يعانيها الجميع ، وبالفعل ذهبوا للمعسكر الصليبي لعرض الفكرة وقابلوا عددا من القادة الذين تخوفوا من تلك المبادرة خوفا من

---

[1] Ibid , op. cit., p. 28.

[2] الزركشي : المصدر السابق ، ص 112.

[3] Froissart , op. cit., pp. 470 - 471 ; Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 245.

أن تكون خديعة من المسلمين ، إلا أن بعض الصليبين تحمسوا لها وأرادوا إقامة المبارزة بينهم . [1] وعندما رأى لويس البوبورني اصطفاف عدد كبير من المسلمين انتظارا لتلك المبارزة ، شعر بأن معسكر المسلمين خالٍ فانتهز تلك الفرصة وقام بالهجوم عليه محدثا الخراب والتدمير ثم عاد للمعسكر الصليبي ، وهو في طريق العودة مات منه ما يقرب من خمسة وعشرين فارسا من أمهر القادة الصليبيين بسبب حرارة الشمس وعدم قدرتهم على تحملها مما تسبب في خسارة كبيرة للصليبيين ، أما بقية الجنود فقد شعروا بالتعب وانهكهم الإجهاد . ويرى المؤرخ الإيطالي المعاصر فرواسار أنه لو وافق لويس البوربوني على إقامة المبارزة ما تعرض الجيش الصليبي لهذه الخسارة ونحن نوافقه على هذا الرأى . [2]

وبعد بضعة أسابيع من حصار مدينة المهدية قرر الصليبيون اقتحام المدينة مستخدمين كل ما لديهم من أدوات وسلالم خشبية تساعدهم على تسلق الأبراج والأسوار، و إتمام تلك المهمة [3] كما قرروا مهاجمة الأبواب البرية حتى يضطر المسلمون إلى الاستعانة بالحامية المرابطة عند الأسوار البحرية فيسهل استخدام تجهيزات الحملة ، على أن تقوم قوة أخرى بحراسة المؤخرة تحسبا لأي هجوم يأتى من الخلف ، وشعر الجنود اللاتين بالفرح لقرب نهاية الحملة و أن سقوط المهدية أصبح أمرا قريب المنال [4] وبنى الجنوية برجا مرتفعا وأسندوه عند أحد الأبراج الذي عرفوا بأنه أضعف الأبراج حراسة عن طريق أحد التجار الجنوية المقيمين داخل المدينة ، وعندما أحس المسلمون المحاصرين داخل المدينة بنشاط الصليبين قاموا بإحكام تحصيناتهم ناحية هذا البرج وتعزيز حراستهم لبقية الأبواب والأسوار ، وعندما تسلق

[1] Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 246.
[2] Froissart , op. cit., p. 471.
[3] Delaville , op. cit., p. 191.
[4] Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 240.

الصليبيون البرج انهال عليهم الأهالي بوابل من الحجارة والقذائف المشتعلة حتى احترق البرج وسقط مشتعلا وكل من كان عليه من الجنود ، مما أصاب الصليبيين بخيبة أمل كبيرة . وقرر لويس البوربوني مهاجمة بقية الأبواب الأخرى في آن واحد إلا أن يقظة الأهالى الذين تصدوا للهجوم بثبات وقوة بددت كل أمال الصليبيين في اقتحام المدينة [1] ويشير ابن خلدون إلى أن الصليبيين قد تعرضوا للتنكيل من أهالي المدينة بمجرد أن تسلقوا البرج الذي صنعوه فقد أنزلوا عليهم الحجارة والسهام والنفط وقاتلوهم وهم صابرين محتسبين [2]

ولم يدخل اليأس في قلب لويس البوربوني الذي سرعان ما طلب من الجنود بناء أبراج جديدة لمعاودة الهجوم مرة أخرى قبل نفاذ المؤن التي بحوزتهم ، وخلال عملهم في تلك الأبراج جاءت حشود من البربر لنجدة المهدية وقاموا بالهجوم على المعسكر الصليبي، فتصدى لهم الصليبيون ودارت بينهم معارك أدت إلى فشل الصليبيون في الاستيلاء على مدينة المهدية ووقوع خسائر فادحة في أرواح الجنود اللاتين بعد حصار دام تسعة أسابيع متتالية ، فضلا عن تعرض الجنود لدرجة حرارة مرتفعة ونقص المؤن [3] وندرة المياة مع طول مدة الحصار[4]، كل ذلك أضعف من

---

[1] عندما حاول جنديان من النورمان استعراض قوتها وشجاعتها وقاموا بتسلق البرج لاقوا حتفهما على الفور بعدما مزق المسلمون جسدهما وألقوا بهما من أعلى السور أمام أعين الجنود الصليبين فأرهبوهم .

Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 241.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 400.

[3] كان ملك صقلية يقوم بإمداد الحملة باستمرار بالمؤن مستغلا ضعف قوة البربر في البحر لأنهم كانوا لا يملكون اسطولا بنفس قوة أسطول جنوة والبندقية .

Froissart , op. cit., p. 471.

[4] كاد الصليبيون يحترقون من شدة الحرارة داخل الملابس الثقيلة التي كانوا يرتدونها ، كما تعرضوا للاختناق عندما غطت أسراب هائلة من الحشرات المعسكر الصليبي لم يخلصهم منها سوى هبوب رياح قوية قضت عليها .

الروح المعنوية لدى الجنود وأحطت من عزيمتهم . كما كانت شخصية قائد الحملة غير محببة للجنود إذ تشير المصادر إلى انعزاله عن الجنود وأنه لا يمكن لأحد الاتصال به إلا عن طريق وسطاء . كل ذلك أدى إلى تملك الجنود الصليبيين ضيق شديد واستولى عليهم اليأس واضناهم الضجر والتعب بعد تزايد عدد المرضى نتيجة المصاعب التي لاقوها من قسوة مناخ وسوء تغذية بالاضافة إلى شعورهم بالرهبة والخوف من رؤية المسلمين.[1] كما انتقد القادة الجنوية الذين يشكلون غالبية الحملة الصليبية بطء العمليات العسكرية وهم يرون مراكبهم ساكنة بلا حراك في حين كان من الممكن استخدامها في التجارة التي سوف تدر عليهم الأرباح الأمر الذى أدى إلى ضرر مصالحهم الاقتصادية[2]. في الوقت الذى كان فيه أهالي مدينة المهدية يأملون في انتهاء الحصار الذي طال أمده . لذلك تعالت أصوات المنادين داخل الجيش الصليبي بأن بقائهم أصبح بلا فائدة وأنهم لن يتمكنوا من فتح المهدية بتلك المناوشات وبدأو يفكرون جديا في طلب الصلح و وقف القتال[3].

وتشير المصادر إلى انقسام المعسكر الصليبي على نفسه حيث دب الخلاف بين القوات الجنوية والفرنسية ، وبدأت الشكوك والمخاوف تساورهم وحامت من حولهم الظنون ، لذا نجد القوات الجنوية تسرع في الدخول في مفاوضات مع سلطان تونس دون أخذ رأى الدوق لويس البوربوني قائد الحملة [4] الأمر الذي اعتبره البعض خيانة وغدراً جانب الجنوية [5] لأنهم حاولوا إنهاء الحملة للمحافظة على مصالحهم الشخصية والاقتصادية وامتيازاتهم التجارية في الساحل الإفريقي دون الأخذ في الاعتبار هدف

Froissart , op. cit., p. 473.

[1] Froissart , op. cit., p. 473.

[2] Uberti Folietae , Patricii Genvensis Historoae Genvensium , Libri XII , Genova 1585, pp. 164 – 166.

[3] Ibid , op. cit., p. 165.

[4] Froissart , op. cit., p. 474.

[5] الوزير سراج : الحلل السندسية ، ج 1 ، ص 107 .

الحملة الصليبية التي جاءت من أجله . [1] وقد بدأت المفاوضات بين الحفصيين والبربر وبين وقادة جنوة بزعامة سنتريوني قائد الأسطول الصليبي عن طريق الجنوية المقيمين بالمهدية ، واقترح الجنوية على دوق بوربوني رفع الحصار عن المهدية على أن يتعهد البربر بعدم القيام بأى عمل عدائي ضد الصليبيين لمدة عشر سنوات ، [2] وعندما قدمت تلك المقترحات على قائد الحملة لويس البوربوني أجاب أن الحملة لم تأت للغنيمة وأنما للغزو ، وبعد أربعة أيام من المفاوضات توصلوا إلى اتفاق بجلاء الصليبيين عن المهدية على أن يتعهد الفريقان بما يلي:

- يدفع المسلمون الجزية الذي اعتاد السلطان الحفصي على دفعها للجنويين لمدة خمسة عشر سنة .
- يدفع أهالي المهدية إلى دوق جنوة في خلال سنة مبلغ قدره خمسة وعشرين الف دوقية كتعويض عن الخسائر التي لحقت بالأسطول الجنوي .
- أن يضمن أهالى قطالونيا وسردينيا ونابولي المقيمين في المهدية تلك التعهدات[3]

ومنحت مهلة لمدة أربعة أيام على إبداء الرأي ، وفي سبيل ذلك عقد مجلس الحرب الصليبي للتشاور والذي قرر قبول الإتفاق ورفع الحصار عن المهدية والرحيل ومغادرة الساحل الإفريقي ، وتم التوقيع على المعاهدة واتخذت إجراءات رحلة العودة في نهاية شهر سبتمبر 1390م / 792هـ وتم الإعلان عن العودة ، وبدأت القوات الصليبية في شد الرحيل والصعود إلى سفنهم ، وأرد الدوق لويس البوربونى أن يكون هو آخر من يصعد إلى السفينة ، [4]وعلى ما يبدو أنه لم يكن يثق في المعاهدة التي أبرمت مع

[1] Mirto , Leon , Le Siege de Mahdia , p. 50.
[2] Froissart , op. cit., p. 475.
[3] Uberti Folietae , op.cit., p. 165.
[4] Uberti Folietae , op.cit., p. 166 ; Delaville , op. cit., p. 191; Cabaret d' Oreville , op. cit., p. 240.

المسلمين لذا أحتاط للامر وأخفى فصيلة من الجنود بلغ عددها ثلاثمائة جندي خلف المسجد تحسبا لوقوع أية عراقيل من جانب المسلمين ، وبالفعل قام المسلمون بمهاجمة مؤخرة الحملة ودارت اشتباكات بين الطرفين أسفرت عن سقوط عدد كبير من القتلى في صفوف المسلمين بعد أن تم الاتفاق والصلح بين الطرفين . ورغم ذلك استمر انسحاب ورحيل الحملة الصليبية التي أقلعت عن المهدية نهائيا في يوم 23 سبتمبر عام 1390م / 11 شوال 792هـ وبذلك انتهت الحملة الفرنسية – الإيطالية بالفشل لأنها أخفقت في تحقيق الهدف التي جاءت من أجله . [1]

وقد ترتبت على تلك الحملة العديد من النتائج الهامة التي هى خلاصة هذا البحث وهى أولا : نجاح مسلمي شمال إفريقية في التصدي للأسطول الأوروبي رغم ضخامته وامكانياته الحربية التى تفوق قدرة المسلمين، والذي كلل سعيه بالفشل الزريع بسبب حصانة المدينة وبسالة أهالها في الدفاع عنها ، فضلا عن وصول النجدات السريعة التي جاءت من المدن الأخرى المجاورة لها تضامنا مع أهالي المهدية . ثانياً : قضت هذه الحملة على كل الطموحات والأمال المستقبلية لدعاة الحروب الصليبية في الغرب الأوربي للاعداد والترتيب لحملات صليبية أخرى بعد هذا التاريخ فقد كان فشل هذه الحملة نهاية للفكر الصليبي الغربي . ثالثا : كشفت هذه الحملة عن الأطماع المادية للصليبيين ورغبتهم في الحصول على المكاسب المادية وتحقيق المصالح التجارية لأنفسهم وتخليهم عن الدافع الديني والروح الصليبية التي طالما

[1] Froissart , op. cit., p. 476 ; Mirto , Leon , Le Siege de Mahdia , p. 50.
وقعت معاهدة سلام بين جنوة وتونس في 17 اكتوبر 1391م / 20 ذو الحجة 793هـ وجددت بمقتضاها الاتفاقيات التجارية السابقة ، فضلا عن اطلاق سراح عدد من الأسرى الجنوية مقابل عدد من الأسرى المسلمين دون فدية ، كما تلى ذلك مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات بين تونس والبندقية و بيزا وصقلية ، و انتعشت التجارة ثانية بين تونس والمدن الساحلية في البحر المتوسط .
Atiya , op. cit ., p. 433.

تغنوا وتشدقوا بها في كثير من المحافل والمناسبات . رابعاً : لم تستطع الحملة الصليبية بقيادة لويس البوربونى بالرغم من ضخامة امكانياتها في العدد والعدة كسر وإضعاف المجاهدين المسلمين غزاة البحر أو تأديبهم كما كان يهدف الصليبيون من حملتهم ، وظل هؤلاء المجاهدين يمارسون نشاطهم في البحر المتوسط من حين لآخر محدثين الذعر والرعب للشواطئ الأوربية عامة وللسفن الإيطالية والفرنسية التجارية في البحر على وجه الخصوص . خامساً: لم تتحقق طموحات الغرب اللاتيني في الوصول إلى بيت المقدس الذي أرادوا الوصول إليه عن طريق الساحل الإفريقي بالاستيلاء على المهدية ، وظل بيت المقدس في أيدي المسلمين .

وأخيرا .. على مؤرخي الحروب الصليبية اعتبار تلك الحملة من جملة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ولا يتوقف تأريخهم للحركة الصليبية عند عام 1270م .

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

أولا : المصادر اللاتينية

- Agostino Guistiniani , Annali della Repubblica di Genova , Terza Edizione Gevonese , Vol. II, Genova 1854 .
- Chronicles of the Crusades, Villehardouin and de Joinville, translated by Sir F. Marzials, Dover Publications 2007.
- Fabri Felix, Palestine Pilgrims, Text Society, Translated to t Text Society, Translated to English by Aubrey Stewart , 2 vols. , London 1892.
- John Froissart , Chronicles of England , France , Spain, and the adjoining countries, Translated by Thomas Johnes , London 1839.
- Johan Cabaret d' oreville , La Chronique du Bon Duce Loys de Bourbon Ed. A.M. chazuad , Paris 1876.
- S'eadeddin , Chronica della casa Ottomana , Trad. Bratutti 1890.
- Uberto Foglietta , Historiae Genvensium , Libri XII, Genova 1585.

ثانيا : المصادر العربية

- احمد بن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 1 ، تونس 1963 .
- الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، تونس 1966.
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج 6 ، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة 2005.
- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6 ، دار الكتاب اللبناني – بيروت 1966م .
- ابن القنفد القسنطيني : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي تونس 1968م .
- ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق د. مدحت الجيار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2007 .
- السلاوى الناصري : الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، ط. 1335م .
- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ، دار الكتب، القاهرة 1996م .
- النويرى الاسكندراني، وقعة الاسكندرية، تحقيق سهيل زكار، دار التكوين للطباعة و النشر، دمشق 2008.
- الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، ج 1 ، تونس 1970م .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج 5 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية بيروت 2003م .

المراجع الأجنبية

- **Atiya S. , The Crusade in the Later Middle Ages ,London 1938.**
- **Barante M. , Histoire des Ducs de Bourgogne de la Maison Valois , Paris 1860.**
- **Cambridge Medieval History , Cambridge 1924.**
- **Delaville le Roulx J. , La France en Orient au XIV Siècle , Paris 1886.**
- **E.H. Wilkins, Life of Petrarch (Chicago, 1961) .**
- **Encyclopædia Britannica 5 (11th ed.),Cambridge University Press.**
- **Francis Dvornik , The Slavs in European History and Civilization, (Rutgers University Press, 1962 .**
- **Hillgarth J. N., Roman Lull and Lullism in fourteenth century France , London (W.D.)**
- **Huizinga J. , The Waning of the Middle Ages , London 1955.**
- **Jorga N. , Philippe de Mezieres (1327- 1405 A. D.) , Paris 1896.**
- **Kavka, František (1998), Politics and culture under Charles IV".**
- **Kitchen G. W. , AHistory of the France , Oxford 1899.**
- **La Monte J. , The World of the Middle Ages , New York 1949.**
- **Leon Mirot , Le Siege de Mahdia 1390, Paris 1932.**
- **Luchaire , Le quatre Première Capetians in Lavisse – Histoire de France, Paris 1901.**
- **Lodge R. , The Close of the Middle ades (273 – 1494) , London 1963.**

- Mahrenholtz R , The Last of the old Capet, vol. VII, London (W.D) .
- Mekisack M. , The Fourteenth Century (1307- 1399), Oxford 1959.
- Mikuláš. Bohemia in History, Cambridge University Press,
- Paintr S., A History of the Middle Ages , London 1966 , p. 405.
- Runciman S. , History of the Crusades, III, Cambridge 1954 .
- Sisnondi J. L. , History of the Italian Republics in the Middle Ages, London , N. D.
- Stanly Lane – Poale , The Barbary Crosairs, London 1890 .
- Sisnondi J. L. , History of the Italian Republics in the Middle Ages, London.
- The New Encyclopædia Britannica, Macropædia, .H. Berton Publisher ,1973
- The Oxford Dictionary of the Middle Ages,(500- 1500 A.D), oxford 2015.
- Thonpson James , History of the Middle Ages , London 1931.
- Waugh T. , A History of the Europe from 1378 to 1494 , London 1932.

المراجع العربية والمعربة

- حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2001م.
- الظاهر أحمد الزواوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، القاهرة 1963م .
- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ، الإسكندرية 1966م
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1975م ، ج 2
- الشيخ مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي لبنان 1986 م .
- عزيز سوريا ل عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة 1972م .
- محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة 1965 .
- محمد محمد الأمين : شمال إفريقية والحركة الصليبية ، مقال بمجلة معهد الدراسات الإفريقية ، العدد الثالث 974 ، القاهرة 1975م .
- هايد (ح) : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج 3 ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة العامة للكتاب ، 1994م .